البابُ الرابع

في ذكر الصِّحة وبيان فضلها، والأخبار الواردة فيها

فأقول : الصِّحة حالة للبدن ، تصدر عنها الأفعال من الموضوع لها صحيحةً سليمةً ، والموجود منها بالفعل كثيرة الصور بحسب الإنسان ، والمسخنات ، والمزاجات الأصليَّة ، وفصول السنة ، والمساكن ، فالصحة إذاً ذات عرض ، وفيها تفاوتٌ ومراتب ، وأفضلها ما قرب من الصِّحة المتوهَّمة ، وأردؤها ما قرب إلى آخر حدودها ، الذي هو أوَّل حدود المرض .

واعلم أنَّ الصِّحة والعافية أفضل ما أنعم الله به على الإنسان ، وأجزل عطاياه ، وأوفر منَحه ، ولا يتمكَّن العبد من حسن تصرُّفه ، والقيام بأمر مولاه ، وتمام العبادة ، إلا بوجودها ، وليس يَعْدِلها شيء ، وينبغي للعاقل أن يعرف مقدارها ، ويشكرها ولا يكفُرها .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قال : «**الصحَّةُ والفَراغ نعمَتان من نعم الله عزَّ وجلَّ مَغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ**» انفرد بإخراجه البخاري[١] .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :«**إنَّ لله عباداً يَضنُّ بهم[٢] عن القتلِ ، والزَّلازل والأسقام ، فيُطيلُ أعمارَهم في حُسنِ العَملِ ، ويُحسِّنُ أرزاقَهُم ويُحييهم في عافيَة ، وتُقبَضُ أرواحُهُم في عافيةٍ على الفُرُشِ ، ويُعطيهِم منازلَ الشُّهداء**»[٣] .

---

(١) البخاري(٦٤١٢) .

(٢) في (خ) :«يصونهم» والمثبت من (ط) ومصادر التخريج .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٧١) ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٠٣/١٠ ، وقال : وفيه جعفر ابن محمد الواسطي الوراق ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . وضعفه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٣٧١/١ .
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٥) من كلام ثابت البناني ، وضعفه أيضاً ابن رجب ٣٧١/١ .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، لأن أُعافى فأشكُرَ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلَى فأصبر ، فقال رسول الله ﷺ : «**ورَسولُ الله يُحبُّ معَكَ العافيَةَ**» [١] .

وقال سعيد [٢] في قوله تعالى : ﴿ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] قال : عن الصحة .

وروي عن عبد الله بن محصَن الأنصاري : أنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «**مَن أصبَحَ مُعافًى في جَسده ، آمناً في سِرْبِه ، عندَه قُوتُ يومِه ، فكأنَّما حيزَت له الدُّنيا**» . أخرجه الترمذي [٣] .

وعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال :«**إنَّ أوَّلَ ما يُسأَلُ عنه العبدُ يومَ القيامة من النَّعيم ، أن يُقالَ له : ألم نُصحِّ لك جسمَكَ ، ونُرويكَ [٤] من المَاءِ البارِدِ؟**» أخرجه الترمذي [٥] .

وعنه ﷺ أنَّه قال : « **يا عبَّاسُ ، يا عمَّ رسولِ الله : سَلِ اللهَ العافيَةَ في الدُّنيا والآخرة**» رواه البزار [٦] .

وعنه ﷺ أنه قال : «**سَلُوا اللهَ العَفوَ والعافيَةَ والمُعافاةَ ، فإنَّه ما أُوتيَ عبدٌ بعدَ اليقينِ خيراً [٧] من معافاة**» . أخرجه النسائي [٨] .

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ١/٤٥ ، والطبراني في «الأوسط» (٣١٠٢) ، وفي «الصغير» (٣٠٤) ، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» ١/٤٠٩ ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/٢٩٠ وقال : وفيه إبراهيم بن البراء بن النضر وهو ضعيف .وقال العقيلي : يحدث عن الثقات بالبواطيل .

(٢) لم يتبين لنا من سعيد هذا ، ولم نجد هذا القول عن أحد اسمه سعيد ، وانظر «تفسير الطبري»٢٤/٦٠٣ ، وأورد هذا الخبر ابن القيم في «زاد المعاد» ٤/٢١٥ وقال فيه : ومن هاهنا قال من قال من السلف وذكره .

(٣) الترمذي (٢٣٤٦) ، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٤١٤١) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٤) قال في «تحفة الأحوذي» ٩/٢٩٠ : كذا في النسخ الحاضرة بالياء ، والظاهر حذفها لأنه عطف على نصح .

(٥) الترمذي (٣٣٥٨) ، وأخرجه أيضاً ابن حبان (٧٣٦٤) .وقال الترمذي : هذا حديث غريب وهو حديث صحيح .

(٦) البزار في «مسنده» (١٣١٤) ، وأخرجه أيضاً أحمد في «مسنده» (١٧٨٣) ، والترمذي (٣٥١٤) من حديث العباس وهو حديث حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث صحيح .

(٧) في (خ) : «خير له» والمثبت من (ط) والنسائي .

(٨) النسائي في «الكبرى» (١٠٧١٧) ، وأخرجه أيضاً أحمد (٤٤) ، والترمذي (٣٥٥٨) ، وابن ماجه (٣٨٤٩) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو حديث حسن .

وعنه ﷺ أنَّه قال : «**إنَّ النَّاسَ لم يُعطَوا شيئاً أفضَلَ من العفوِ والعافيَةِ ، فَسَلُوهما اللهَ تعالى**» [رواه النسائي][(١)] .

وعنه ﷺ أنَّه قال : «**ما سُئلَ اللهُ شيئاً أحَبَّ إليه من العافيَة**» رواه الترمذي[(٢)] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال له ما أسألُ اللهَ بعد الصلوات الخمس؟ فقال : «**سَلِ اللهَ العفوَ والعافيَةَ**» فأعاد عليه ، فقال له في الثالثة : «**سَلِ اللهَ العفوَ والعافيَةَ ، في الدُّنيا والآخرَة**»[(٣)] .

وعن محمد بن عبد الرحمن القاري قال : وجدتُ في حكمة آل داود عليه السلام : العافية مُلكٌ خفيٌّ ، وغمٌّ ساعة هرَمُ سَنة .

وقال بعض الحكماء : العافيةُ تاج على رءوس الأصحاء ، لا ينظرها إلا المرضى .

وروي أن أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه مَرِضَ فعيد ، فقيل له : كيف أصبحت يا أميرَ المؤمنين؟ فقال : بشرٍّ . فقال له عائده : وأنت تقول ذلك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال : نعم ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء :٣٥] ، فالخير : الصحة ، والشر : المرض .

وكان النبيُّ ﷺ يكثر من سؤال العافية .

---

(١) النسائي في «الكبرى» (١٠٧٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٥) من حديث أبي بكر الصديق بإسناد صحيح . وما بين معقوفين ليس في (خ) والمثبت من (ط) .

(٢) الترمذي (٣٥١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال : هذا حديث غريب .

(٣) لم نقف عليه من حديث ابن عباس ، وأخرجه أحمد في «مسنده»(١٧٨٣) ، والترمذي (٣٥١٤) من حديث العباس قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ، علمني شيئاً أدعو به؟ . الحديث . وهو حديث حسن ، وأخرجه الترمذي (٣٥١٢) من حديث أنس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أي الدعاء أفضل . . الحديث . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

ومن جملة ما كان يدعو به : «اللهمَّ إنِّي أسألُكَ صحَّةً في إيمان ، وإيماناً في حُسنِ خلُق ، ونجاحًا يتبعُهُ فلاحٌ ، ورَحمَةً منكَ وعافيَةً ، ومغفِرَةً منكَ ورِضواناً»[١] .

ومن ذلك : «اللهمَّ إنِّي أسألُكَ العافيَةَ في الدُّنيا والآخرَة . اللهمَّ إنِّي أسألكَ العفوَ والعافيَةَ في ديني ودُنيايَ ، وأهلي ومالي . اللهمَّ استُرْ عَوْراتي ، وآمِن رَوْعاتي» [رواه النَّسائي ، والله أعلم][٢] .

□ لا يشك عاقل في أن الصحة والعافية هي أثمن ما يملكه الإنسان حتى يتمكن من إنجاز مهامه في حياته الدنيا وقيامه بواجباته في دنياه وآخرته . وإذا كان المجتمع المتطور الحديث قد أوجد الهيئات والمنظمات العالمية مثل منظمة الصحة العالمية ومنظمات رعاية الأطفال وغيرها التي هدفت إلى حفظ صحة الفرد والمجتمع ، لكن هدفها جميعها معالجة المشاكل الصحية بعد وقوعها . ورغم اعتراف علماء العصر بالأثر المدمِّر للصحة لكثير من الممارسات والعادات والأطعمة والأشربة المضرة بالجسد كشرب الخمر والتدخين والزنى واللواط وتناول لحم الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها ، فإنهم في تشريعاتهم الصحية لم يلحظوا أبداً كل هذه المفاسد واستئصالها من جذورها . وبذلك نجد أن التشريعات الصحية في الإسلام والتي حرمت كل هذه الخبائث ، وجعلت هذا التحريم من أصول الشريعة الغراء ، هي الأصح بدون شك وهي الأقوم للاتباع والتطبيق من أجل حفظ صحة البشر والمجتمعات ووقايتهم من غوائل المرض وخاصة غول العصر الحديث «الإيدز» وإدمان المخدرات والمشروبات الكحولية وغيرها كثير والالتزام بقواعد الشرع الإسلامي يكفل بناء إنسان قوي ومجتمع صحي خال من الآفات والعاهات التي تسببها هذه الخبائث .

□ المرجع : «المحرمات في الإسلام وأثرها في صحة الفرد والمجتمع» الدكتور محمد نزار الدقر ـ دار المعاجم ـ دمشق .

---

(١) حديث ضعيف أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٨٤٩) و(١٠٤٠٤) ، وأحمد في «مسنده» (٨٢٧٢) من حديث أبي هريرة ﷺ ، إلا أن لفظه عند أحمد :«أسألك صحة إيمان» .

(٢) النسائي في «الكبرى » (١٠٤٠١) ، وأخرجه أيضاً أحمد في «مسنده» (٤٧٨٥) ، وأبو داود(٥٠٧٤) من حديث ابن عمر ﷺ ، وما بين معقوفين ليس في (خ) ، والمثبت من (ط) .